أثر اختلاف الإعراب في تعدد معاني القرآن

✍ . د. علي ناصر علي صايل (★)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله- صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين-، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم أشرف كلاماً وأشرف كتاباً على وجه الأرض، لذا فقد عكف العلماء على دراسته وخدمته ببيان علومه وتفسيره، وكل علم يتعلق بكتاب الله يعد من أجل العلوم، وأشرفها قدراً، وأعلاها منزلة، وأسماها مكانة.

ومن هذه العلوم علم النحو والإعراب، وقديماً قالوا الإعراب فرع المعنى، ومن غير المعقول أن يَقْدم شخص على إعراب نص يجهل معناه؛ لذا كان من لوازم من يريد تفسير كتاب الله تعالى أن يكون عالماً باللغة العربية وعلومها ومنها النحو والصرف والإعراب.

ولما اختلف آراء المفسرين في بيانهم لمعاني القرآن الكريم بناءً على اختلاف أعاريبهم لها، تبين أن لاختلاف الإعراب أثره في تعدد المعاني التفسيرية، فتعدد المواقع التفسيرية يقوم مقام تعدد الآيات، وهذا ضرب من ضروب البلاغة والإعجاز.

ومن هنا أردت أن أبين أثر اختلاف الإعراب وتعدد المواقع الإعرابية في تفسير القرآن الكريم من خلال بحثي هذا الموسوم {أثر اختلاف الإعراب في تعدد معاني القرآن}.

وتأتي خطة البحث على النحو التالي:

(★) أستاذ بجامعة الإيمان بالجمهورية العربية اليمنية.

المبحث الأول: الإعراب في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني:أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير وحاجة المفسر إليه.

المطلب الأول: أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير.

المطلب الثاني:حاجة المفسر إلى الإعراب.

المبحث الثالث:أثر اختلاف الإعراب في تعدد المعاني التفسيرية وإظهار الإعجاز اللغوي.

المطلب الأول: أثر اختلاف الإعراب في تعدد المعاني التفسيرية.

المطلب الثاني: أثر اختلاف الإعراب في إظهار الإعجاز اللغوي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول:
الإعراب في اللغة والاصطلاح

الإعراب في اللغة:

قال ابن فارس [1]:" العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها: الإبانة والإفصاح، والآخر: النشاط وطيب النفس، والثالث: فساد في جسم أو عضو، قولهم: أعرب الرجل عن نفسه إذا بين وأوضح. وإعراب الكلام من هذا القياس؛ لأن بالإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل والمفعول، والنفي، والتعجب والاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم" [2].

(1)هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي،اللغوي،كان إماما في علوم شتى من أشهر مصنفاته مقاييس اللغة ت:395هـ.

(2)معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ص739، كلمة (عرب)

قال الأزهري [1]: " الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة.

يقال: أعرب عنه لسانُهُ وعرَّب أي أبان وأفصح. ويقال: أعربْ عما في ضميرك أي أبِنْ. ومن هذا يقال للرجل إذا أفصح الكلام: أعْرَبَ"[2]

والإعراب: البيان. يقال: أعرب عن نفسه. وفي الحديث: (الثيبُ تُعربُ عن نَفْسها) وإعراب الكلام: إيضاح فصاحته، وخص الإعراب في تعارف النحويين بالحركات والسكنات المتعاقبة على أواخر الكلم، والعربي: الفصيح البين من الكلام"[3].

ومعنى إعراب الثيب عن نفسها، أي تذكر رأيها وتبينه لفظاً وتفصح عنه بالقبول أو الرفض فيمن يطلب زواجها.

يقال للرجل إذا لم يلحن في الإعراب: أعرب كلامه، وعرّب منطقه: أي هذبه من اللحن، فأجاد وأفصح في الكلام[4].

ومن معاني الإعراب أيضاً: التغيير، حيث يقال: عربت معدة الرجل: إذا تغيرت لفساد طرأ عليها، فتغيرت من حال إلى حال[5].

ويتضح مما سبق أن معنى الإعراب يتمثل في البيان والإفصاح والإيضاح والتغيير والله أعلم.

---

(1)هو : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري اللغوي ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، لكن غلبت عليه اللغة فاشتهر بها ، من أشهر مصنفاته تهذيب اللغة ، توفي سنة (370هـ).

(2) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. (362/2)، و انظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط6، 1417هـ. (687/1).

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار النشر / دار القلم ـ دمشق (80/2).

(4) انظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية.لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط.الثانية، سنة 1399هـ. (179/1)، وتاج العروس، من جواهر القاموس ، تأليف : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ط 1. المطبعة الخيرية بجمالية مصر ، سنة 1306 هـ . (336/3)، والقاموس المحيط، لمحمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1416هـ. (106/1).

(5) الصحاح للجوهري (179/1).

وفي الاصطلاح:

التعريفات التي ذكرها العلماء في معنى الإعراب تدور في فلك واحد.

– قال ابن جني[1] في تعريف الإعراب:هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ[2].

ولكن يلاحظ على هذا التعريف أن ابن جني قد عرف الإعراب بمعناه اللغوي العام الذي هو بمعنى الإبانة والإفصاح عن المعنى،لذلك فلا أرى أن تعريفه يعد تعريفًا اصطلاحيا جامعا مانعا.

– وعرفه علماء آخرون بأنه اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل الداخلة عليها لفظًا أو تقديراً[3].

- وقال الجرجاني[4]:هو اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل الداخلة لفظاً أو تقديراً[5].

- وعرفه مجمع اللغة العربية بأنه :تغييري لحق أواخر الكلمات العربية من رفع

(1) هو : عثمان بن جني ، أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي ، صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب واللغة . استوطن بغداد ودرس بها العلم إلى أن مات سنة 372 هـ، إنباه الرواةعلى أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1406هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل. (335/2).

(2) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط الأولى - 1376 هـ . (35/1).

(3) انظر شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف : عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري ت . عبد الغني الدقر ، ن . الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ، سنة 1404هـ 1984م ص (33)، والتعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1417هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.ص (35)، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية 1413هـ/1993م، مؤسسة الرسالة - بيروت(143)، والتوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (74).

(4) حمزة بن يوسف أبو القاسم. مات -رحمه الله- سنة سبع وعشرين وأربع مائة،

(5)التعريفات للجرجاني ص47 .

ونصب وجر وجزم،على ما هو مبين في قواعد النحو [1].

- و وقيل الإعراب:"اختلاف آخر الكلمة باختلاف العامل. والإعراب وضع للدلالة على أحوال الذات،كما أن الكلمة وضعت للدلالة على الذات،ولذلك لا تختلف الكلمة؛ لأن مدلولها لا يختلف، ويختلف الإعراب لأن مدلوله يختلف"[2].

المبحث الثاني

أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير وحاجة المفسر إليه

المطلب الأول: أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير

تكمن أهمية الإعراب في تفسير القرآن الكريم في ارتباط التفسير بالإعراب ارتباطاً قوياً متيناً، فكما أن التفسير ضروري لفهم مراد الله تعالى في آياته، ومن ثم فهم معانيه ومراميه، فكذلك الإعراب؛ لأن هدفه الإفصاح عن المعنى، فهو لا يقل ضرورة عن التفسير. فالإعراب ليس علامات لفظية فحسب؛ بل هو مناط إيضاح المعنى وإظهاره، وفي هذا قال ابن جني في باب القول على الإعراب: " هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى إنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه وشكر سعيدا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ولو كان الكلام سِرْجاً واحداً لاستُبهم أحدهما من صاحبه"[3].

كما أبان قيمته أيضاً ابن فارس حيث قال" فأمّا الإعراب - فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلاً لو قال: ما أحسنْ زيدْ غيرَ معرب أو ضربَ عمرْ زيد غير معرب لم يوقَف على مراده. فإن قال: ما أحسنَ زيداً أو ما أحسنُ زيدِ أو ما أحسنَ زيدٌ أبانَ بالإعراب عن المعنى الذي أراده"[4].

وقد ظهرت اتجاهات كثيرة في تفسير القرآن، وكان من أقدمها الاتجاه

---

(1) المعجم الوسيط، إخراج: الدكتور إبراهيم أنيس، والدكتور عبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد، دار إحياء التراث العربي، ط.الثانية. (612/2).

(2) الإرشاد إلى علم الإعراب، لشمس الدّين الكيشيّ، تحقيق الدّكتور عبد الله الحسينيّ والدّكتور محسن العميريّ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرّمة، ط (1) 1410هـ. ص (16).

(3) الخصائص (35/1).

(4) الصاحبي في فقه اللغة العربية ، تأليف : الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس ، ط 1. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة 1418 هـ - 1997 م(47).

اللغوي، ومن هذا الاتجاه قسم يتعلق بالنحو والقضايا الإعرابية، فكان من النحاة الأوائل من يضع تفسيراً للقرآن الكريم؛ لأنه هو الكتاب الذي كانوا يعتمدون عليه في وضع قواعدهم وآرائهم النحوية والاحتياج لها وتأييدها من خلال تفسير آيات الكتاب الحكيم[1].

ويعد من أشهر مَنْ ألف وصنف في ذلك الإمام النحوي الفراء، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد، و أحمد بن يحيى ثعلب، ويحيى بن علي التبريزي، وعبد الرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري، وغيرهم كثير.

وهذا القسم من الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن الكريم على نوعين، ولكلٍ منهما مؤلفاته الخاصة به، وهما:

الأول: كتب في تفسير القرآن أو المشكل منه، والتي عنيت بالنحو، ومنها كتابا معاني القرآن للفراء، والبحر المحيط لأبي حيان.

والثاني: كتب اختصت بإعراب القرآن وهي كثيرة منها:

1. إعراب القرآن للزجاج.
2. إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه النحوي.
3. التبيان في إعراب القرآن المجيد لأبي البقاء العكبري.
4. المجيد في إعراب القرآن المجيد للصفاقسي.

وفي بيان دور النحاة السابقين وخدمتهم لكتاب- الله عز وجل- قال الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة في مقدمة كتابه:" وأثبت أن نحاتنا السابقين هم الذين أبلوا أحسن البلاء في توثيق نص القرآن الكريم بالاحتجاج للقراءات وبيان عللها، واختلاف قرائها، وأنهم هم الذين هيئوا لعلماء التفسير الوسيلة الفعالة لفهم معانيه والاجتهاد في أحكامه وتفصيل آدابه، وكان ما قاموا به من أبحاث في كتبهم النحوية وكتب "معاني القرآن" و "الاحتجاج"، وما غاصوا فيه من تحليل لآياته، كان ذلك هو القبس الذي أضاء للعلماء الطريق في تفسير الكتاب العزيز ومكنهم من تفسيره العقلي، إذ كان التقاء التفسير اللغوي بالأثري هو السبب الأكبر في نشأة التفسير بالرأي، وجرأة العلماء عليه، وتوسيعهم فيه، وترسيخهم

(1) التفسير ومناهج المفسرين، د/ محمد لطفي الصباغ بدون ناشرص (153)، ولمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، د/ محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، ط/3، 1410هـ- 1990م. ص (231).

أصوله ومناهجه"[1].

ويتضح مما سبق صلة الإعراب وأهميته بالنسبة للتفسير وضوحاً بارزاً، وقد ضرب الأستاذ سميح عاطف الزين مثالاً على ذلك بكلمة قرآنية فيها من الروعة والجمال بعد تحليلها وإعرابها ما لا يتوفر في كلمة ترادفها في المعنى وهي كلمة (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) في قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]. وقد بين ما فيها من بلاغة وتعبير، وما تثيره هذه الكلمة من صور وأحاسيس، وما تشتمل عليه من معنى ومغزى، وقارب تحليل الأستاذ لها الصفحات الأربع من كتابه، وعلق في نهاية ذلك بقوله:" فلولا الإعراب، ومعرفة قواعده، ما كان ليتسنّى لنا أن نفهم معاني القرآن المبين، ولا أن ندرك مواطن جماله، ومحال بلاغته، وإعجازه، وسائر أوامره، ونواهيه، ومصادر أحكامه في حلاله وحرامه، وآياته ووعده ووعيده.

فما أحرانا إذن بإتقان الإعراب، لنكشف عن غوامض لغتنا، وكنوز قرآننا العظيم!" [3].

المطلب الثاني: حاجة المفسر إلى الإعراب

وضع العلماء شروطاً لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم، حيث لابد له أن يكون ملماً بمجموعة من العلوم والمعارف التي تعينه على تفسير كتاب الله - عز وجل - ، وتعتبر هذه العلوم بمثابة الأدوات التي تعصم المفسر من فهم معاني كتاب الله تعالى على غير وجهه الصحيح فتوقعه في الخطأ والزلل.

وأوضح العلماء أن هذه العلوم تشتمل على خمسة عشر علماً لابد للمفسر من الإحاطة بها والتمكن منها ليستطيع تفسير كتاب الله تعالى.

ومن هذه العلوم علم الإعراب، وذلك لأن المعنى يختلف ويتغير باختلاف

(1) النحو وكتب التفسير، د. إبراهيم رفيدة ، نشر الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط3، 1990م . (9/1).
(2) سورة هود الآية: (28).
(3) الإعراب في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط/1، 1405هـ - 1985م، ص (51).

الإعراب وتغييره، ووظيفة الإعراب ومهمته تمييز المعاني عن بعضها البعض والوقوف على أغراض المتكلمين [1].

ومن أقوال العلماء في حاجة المفسر إلى الإعراب ما يأتي:

أولاً: عن عمر بن الخطاب قال:" تعلموا اللحن والفرائض والسنن كما تعلّمون القرآن" [2]، ويقصد باللحن الإعراب وقواعده.

ثانياً: عن يحيى بن عتيق، قال: قلت للحسن: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بذلك حسن المنطق، ويقيم بها قراءته قال: " حسن يتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك بها "[3].

ويظهر من خلال ما سبق أهمية الإعراب للتفسير وعلاقتهما مع بعضهما البعض.

ثالثاً: قول الإمام الزركشي ملخصاً هذا المبحث في بيان أهمية الإعراب بالنسبة للتفسير وحاجة المفسر إلى هذا العلم، إذ يقول:" وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبرا أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع قلة أو كثرة إلى غير ذلك"[4].

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، والإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، و الزيادة والإحسان في علوم القرآن : لابن عقيلة المكي.

(2) مصنف ابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة ، ت . حمد الجمعة ومحمد اللحيدان ، ط 1. ن . مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية ، سنة 1425 هـ، باب: ما قالوا في تعليم الفرائض (242/6)، رقم (31035).

(3) شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية بيروت - 1410هـ ت / محمد السعيد بسيونى زغلول . باب في طلب العلم (216/3)، رقم (1568).

(4) البرهان في علوم القرآن (302/1).

المبحث الثالث
أثر اختلاف الإعراب في تعدد المعاني التفسيرية وإظهار الإعجاز اللغوي

المطلب الأول: أثر اختلاف الإعراب في تعدد المعاني التفسيرية.

إن التخلي عن الإعراب في لغة تعتمد حركات الإعراب للتعبير عن المعاني النحوية كاللغة العربية هدم لها وإماتة لمرانتها[1]، وإن في ترك حركات الإعراب إلباساً لكثير من الجمل والتعبيرات لباس الإبهام والغموض. إن كثيراً من الجمل تضيع معانيها بضياع الإعراب فيها، من ذا الذي يستطيع أن يقرأ من غير الإعراب ويفهم مثل قولنا: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) [2]، وما أحسن زيد ؟؟" [3].

هذه العلاقة الوثيقة أطلق عليها الدكتور تمام حسان المعنى الدلالي على اعتبار أن الدلالة النحوية لها تأثير في الدلالة اللغوية المفهومة من النص[4].

ومما سبق يتبين أن العلامة الإعرابية لها معناها الدلالي الخاص بها، حيث إنها لا تقصر على وظيفتها النحوية فقط؛ بل تقوم بوظائف مزدوجة بين الوظيفة النحوية والمعنى الدلالي[5].

وتطبيقاً على القرآن الكريم اختلف النحويون كثيراً في إعراب آياته مما أدى إلى تعدد المعاني الناجمة عن اختلافاتهم تلك. وقد أرجع الأستاذ عبد الخالق عضيمة الاختلاف في الإعراب إلى سببين:

الأول: أسلوب القرآن المعجز، بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بجميع

---

(1) يقصد بالمرانة اللين، حيث إن: مَرَنَ على الشي ء مرانةً: أي تعوّده واستمر عليه انظر: مختار الصحاح (622).

(2) سورة فاطر الآية: (28).

(3) نحو وعي لغوي، د/مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ – 1979م ص (106).

(4) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م . ص (342).

(5) انظر: حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، عدد/19، ج/2، – النحو والدلالة – ص (477).

مراميه وأهدافه، فاحتمل كثيراً من المرامي والوجوه.

الثاني: إن النحويين لا يعرفون الحجر على الآراء، ولا تقديس آراء الغير، فاحتفظوا لأنفسهم بحرية الرأي والتعبير[1].

والثالث: وهو دليل على صلاحية القرآن لكل العصور والأجيال، فاختلاف الحركات يؤدي إلى مرونة المعاني وتنوعها، وكل معنى يخدم جيلاً وعصراً وثقافة وحضارة، ويواكب ويعالج القضايا المستجدة في حياة الأمة. وكأن الكلمة القرآنية أو العبارة بمثابة قطعة ألماز، كلما نظرت إليها من جهة أرتك ألواناً من جدية من الإشعاعات والأضواء، فيالها من عظمة الأعجاز البياني للنص القرآني.

وإيماناً بهذه الصلة الوثيقة بين الإعراب والمعنى، فقد درس الأستاذ شريف عبدالكريم النجار بعضاً من الآيات القرآنية التي أوردها الإمام مكي بن أبي طالب في كتابه مشكل إعراب القرآن، وبين الآراء المختلفة للنحاة حول تلك الآيات، وكشف عن أثر تعدد هذه الآراء مستعيناً بما أورده المفسرون في توجيهها، فقال" والناظر لهذه الأوجه الإعرابية قد يظن أن لهذه الكلمة في هذا التركيب معاني، والحق أنه معنى واحد، ولكن خلاف النحاة في إعراب الكلمة هو السبب في وجود هذه المعاني المختلفة، فكل إعراب من هذه الأعاريب يعطي معنى مختلفاً عن الآخر فالإعراب علامة على المعنى وكاشف له..." [2].

والذي يظهر أن في كلام الأستاذ تناقضاً فكيف يكون للكلمة في تركيب ما أكثر من معنى، وتكون هذه المعاني معنىً واحداً، وأن السبب في تعدد المعاني هو اختلاف النحاة في الإعراب؟ فهذا غير صحيح.

والحق في تعدد المعاني القرآنية الناتجة عن اختلاف النحاة هو ما أوردناه آنفاً من الأسباب الماضية؛ فالله – تبارك وتعالى - هو الذي جعل الكلمة القرآنية في تركيب معين تحتمل أكثر من إعراب، وفهم منها النحاة أكثر من

(1) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول، لمحمد عبد الخالق عضيمة طبع: دار الحديث، القاهرة (14/1).

(2) مجلة الدراسات اللغوية- البعد الدلالي في الخلافات النحوية في إعراب آيات القرآن الكريم ص(10)

معنى، وفي هذا قمة الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وإلا فما فائدة تسمية بحثه بالبعد الدلالي في الخلافات النحوية في إعراب آيات القرآن الكريم؟ وأن ما أورده في بحثه يناقض ما قاله قبل قليل!!.

ومن المعروف أن اختلاف الإعراب يرجع إلى أمرين:

الأول: اختلاف القراءات القرآنية والتي يترتب عليه إثراء المعنى.

الثاني: احتمال الكلمة القرآنية لأكثر من وجه إعرابي وإن لم تتغير علامتها الإعرابية.

ولمزيد من الإيضاح والبيان سأضرب بعضاً من الأمثلة على كل من الأمرين.

- أما بالنسبة لاختلاف الإعراب بناءً على اختلاف في القراءات القرآنية فقد بين الإمام الزركشي أن حاصل اختلاف القراءات يرجع إلى سبعة أوجه، أذكر واحدة منها وهي التي لها علاقة بالموضوع:

"...الثاني: الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الخط نحو : ﴿رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[1] و{رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا } و ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾[2] و{ تَلَقَّوْنَهُ} ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[3] و {بَعْدَ أُمَّةٍ} وهو كثير يقرأ به لما صحت روايته ووافق العربية"[4].

(1) سورة سبأ الآية: (19).

(2) سورة النور الآية: (15).

(3) سورة يوسف الآية: (45)، وهذه القراءة في الآية،والتي تليها لم يذكرهما الإمام ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر)، وعلى ذلك لم يكونا من القراءات العشر المتواترة ، ص (250)، وانظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح بن جني، تحقيق: محمد عطا، ط الأولى 1416هـ، دار الكتب العلمية - بيروت. (344/1)،لآية سورة يوسف، وانظر: المحتسب (104/2) الآية سورة النور.

(4) البرهان في علوم القرآن (334/1).

أكتفي بتوجيه المثال الأول لتواتر القراءة هنا، ففي قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ الكلمتان (ربنا)، و(باعد)فيهما قراءتان بما لا يزيلهما عن صورتهما في الخط:

الأولى: قراءة يعقوب برفع باء (ربنا) وبإثبات الألف بعد باء (باعد) مع كسر العين مخففة وإسكان الدال، أي رُّبنا بَاعَدَ[1].

الثانية: قراءة الباقين بنصب باء (ربنا) وبإثبات الألف بعد باء (بَاعَدَ)، مع كسر العين مخففة وإسكان الدال، أي ربَّنا بَاعِد[2].

القراءة الأولى (رُّبنا بَاعَدَ)على أنها جملة أسمية، والخبر فيها الجملة الفعلية (بَاعَدَ)، وهذا الخبر صادر من القائلين على أنه شكوى لبعد أسفارهم؛ وذلك إفراطاً من الترف، وعدم شكر الله تعالى على ما أنعم به عليهم.

والقراءة الثانية: (ربَّنا بَاعِد)، حيث نصب (ربَّنا) على النداء، والفعل (بَاعِد) على أنه فعل دعاء وطلب من الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم، و(بين) مفعول به وليست ظرفاً[3].

المثال الثاني : ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[4].

وردت قراءتان في الفعل (وليحكم) وهما:

الأولى: قراءة حمزة بكسر اللام ونصب الميم، أي(وَلْيَحْكُمَ)

والثانية: قراءة الباقين بإسكان اللام والميم، أي: (وَلْيَحْكُمْ)[5].

وتوجيه القراءتين كما يلي:

أفادت القراءة الأولى(وَلْيَحْكُمَ) المعنى الآتي: آتيناه الإنجيل لكي يحكم

(1) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى -1401 هـ ص (260).

(2) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي ، ت . أنس مهرة ، ط 1. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، سنة 1419هـ - 1998م ص (459/1).

(3) المصدر السابق ص (459/1).

(4) سورة المائدة الآية: (47).

(5) انظر: النشر في القراءات العشر (191/2).

أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه وكأنه بيَّنَ هنا الحكمة من إنزال الإنجيل.

بينما أفادت القراءة الثانية(وَلْيَحْكُمْ) معنى الأمر، أي أمر الله أهل الإنجيل بالحكم بما أنزل الله في الإنجيل، وفيه تهديد ووعيد لهم[1].

- احتمال الكلمة القرآنية لأكثر من وجه إعرابي

و بالنسبة لاحتمال الكلمة القرآنية لأكثر من وجه إعرابي وإن لم تتغير علامتها الإعرابية وسأذكر جملة من الأمثلة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2]

وقد ورد في هذه المسألة قولان:

الأول: غير المغضوب بدل وهو قول ابن جزي الكلبي[3]وحجته أن إضافته غير مخصوصة.

الثاني: صفة واختار هذا القول شيخ الإسلام بن تيمية[4]، والفراء[5]،والطبري[6]

(1) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط.الخامسة، سنة 1418، ط.الأولى، سنة 1422هـ.(410/1)، والحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال مكرم، ط السادسة 1417هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت. ص (131)، وحجة القراءات، للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط.الخامسة، سنة 1418هـ. ص (228).

(2) سورة الفاتحة الآية: (7).

(3) المصدر السابق (55/1)، و ابن جزي الكلبي هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيي الغرناطي، أبو القاسم بن جزي الكلبي ، مشارك في فنون منها العربية والأصول والقراءات والحديث والأدب ، له عناية بالتفسير ، من مؤلفاته : التسهيل لعلوم التنز يل ، تقريب الوصول إلى علم الأصول ، توفي سنة (741هـ) ، ينظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تأليف : الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، مراقبة : محمد عبد المعيد ضان ، ط 2. مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، الهند ، سنة 1392هـ - 1972 م . (356/3) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، تحقيق: الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط.الأولى، سنة 1423هـ. (274/2).

(4) منهاج السنة النبوية تأليف/شيخ الإسلام بن تيمية مؤسسة قرطبة، ط/ الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (307/5).ابن تيمية هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي،الحافظ الناقد المجتهد كان من بحور العلم،بلغت تصانيفه أكثر من أربعة آلاف كراسة ت: 728هـ.مترجم له في الدرر الكامنة(168/1).

والفراء[1]،والطبري[2]

معاني الإعراب:

المعنى الأول: أفاد أن المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هم أنفسهم الذين قد سلموا مما يسبب غضب الله تعالى من الكفر والفساد في الأرض كما فعل اليهود، وسلموا أيضاً من الضلال الذي وقع فيه النصارى، فعبد هؤلاء ربهم حق العبادة[3]

وقال الطبري [4] في توجيه الإعراب" وإذا وُجِّه إلى ذلك – أي البدل-، كانت "غير" مخفوضةً بنية تكرير "الصراط" الذي خُفِض "الذين" عليها، فكأنك قلت: صراطَ الذين أنعمت عليهم، صراطَ غير المغضوب عليهم[5].

المعنى الثاني: أفاد أن هؤلاء المنعم عليهم من الله تعالى بنعمٍ عديدة، منها ما هو وارد في الآية من نعمة الإيمان والهداية، وكذلك نعمة السلامة من غضب الله تعالى، فكأن هؤلاء قد جمعوا بين نعمتي الإيمان المطلق والسلامة من الغضب والضلال[6]. وهذه في حقيقتها نعمة جليلة.

والراجح في هذه المسالة أن تكون "غير" صفة لا بدلا! ويدل على ذلك وجوه:

" أحدها: إن إعرابها صفة أحسن من حيث المعنى المقصود، وانسب

(1) معانى القرآن (7/1)، والفراء: هو هو: يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، أبو زكريا، المعروف بالفرَّاء، الإمام، المفسر، اللغوي، من مصنفاته (معاني القرآن)، توفي في طريق مكة سنة (207هـ)، انظر ترجمته: إنباه الرواة للقفطي: (7/4).

(2) جامع البيان للطبري، عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ت 310هـ، ضبط وتعليق: محمود شاكر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى1412هـ. (184/1).

(3) :انظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (ط: 2) 1421هـ(69/1)، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لعبد الله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ(71/1).

(4)هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، شيخ المفسرين، مؤرخ جامع لمختلف العلوم، وتفسيره (جامع البيان) أشهر من أن يعرّف، توفي سنة: (310هـ)، انظر ترجمته: السير للذهبي: 267/14.

(5) جامع البيان (181/1).

(6) انظر: إرشاد العقل السليمإلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، ط.الأولى، سنة 1419هـ. (47/1)، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الوفاء، المنصورة، ط 2، 1418هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة. (28/1).

للسياق، والقاعدة في الإعراب تقديم الحسن في المعنى والأنسب للسياق، وذلك ان إعرابها صفة يجعل الذي أنعم عليهم متصفين بشيئين؛
أحدهما: أنهم منعم عليهم، وذلك لأن "أنعمت عليهم"، صلة للموصول.
والثاني: أنهم غير مغضوب عليهم، لان "غير المغضوب" صفة للموصول، فيتحقق لهم بذلك الجمع بين النعمة والسلامة المذكورين، وهذا إنما يتحقق بالوصفية إذ يكون التابع والمتبوع مقصودين بالنسبة بخلاف ما إذا كان "غير المغضوب عليهم " بدلاً؛ لأن المتبوع حينئذ يكون في حكم الساقط ويكون ذكره لمجرد جعله توطئة للتابع "[1].

المثال الثاني: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

تحتمل كلمة (هم) وجهين من الإعراب:
الأول: إن (أولئك) مبتدأ أول، و (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثاني، وجملة (هم المفلحون) في محل رفع خبر المبتدأ الأول.
الثاني: إن (هم) ضمير فصل للتأكيد لا محل له من الإعراب[3].

معاني الإعراب:

المعنى الأول: معناه أن الله – عز وجل- أشار إلى أصحاب الهداية، وأخبر عنهم أنهم مفلحون حقيقيون برضاء الله تعالى والفوز بجنات النعيم.
المعنى الثاني: إن ضمير الفصل يفيد التأكيد واختصاص المسند بالمسند إليه، وأنه ثابت له دون غيره.
وعليه يكون معنى الآية أن أولئك المتقين قد اختصهم الله تعالى دون

(1) انظر بدائع التفسير لابن القيم الجامع لتفسير ابن القيم، ليسري محمد، ط الأولى 1414هـ، دار ابن الجوزي - الدمام. (239/1)، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، لمحمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي، ضبطه وصححه وخرَّج آياته: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط.الأولى، سنة 1419هـ. (49/1-50).
(2) سورة البقرة الآية: (5).
(3) انظر: إعراب القرآن ، تأليف : أبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل ، ت . الدكتور زهير غازي زاهد ، ط 3. دار عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، سنة 1409هـ- 1988 م، (184/1)، والدر المصون، في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، ط.الأولى، سنة 1406هـ. (103/1)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط.الأولى، سنة 1408هـ. (74/1).

غيرهم بنيلهم الفلاح الذي لا يدركه أي شخص، وأن هذا الفلاح ثابت لهؤلاء المتقين دون سواهم من الناس.

فالفرق بين الإعرابين أن الأول فيه مجرد إخبار، أما الثاني فإنه يفيد التوكيد والتخصيص، وهذا بيان لشرف هؤلاء المتقين ورفعة قدرهم، كما أن فيه ترغيباً لغيرهم في اقتفاء أثرهم ليحوزوا ما حازوا عليه[1].

المثال الثالث : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [2].**الإعراب:** تحتمل هم ثلاثة أوجه من الإعراب:

الأول: (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وخبره (المفسدون)، وجملة (هم المفسدون) في محل رفع خبر إن.

الثاني: أن يكون (هم) توكيداً لفظياً للضمير (هم) في (إنهم) في محل نصب.

الثالث: أن يكون (هم) ضمير فصل لا محل له من الإعراب[3].

معاني الإعراب:

المعنى الأول: يقصد به أن الله تعالى أشار إلى هؤلاء الذين ادعوا الإصلاح في الأرض، وأخبر عنهم أنهم مفسدون لا مصلحون.

المعنى الثاني: فيه تأكيد على أن هؤلاء الذين دعوا الإصلاح في الأرض هم أنفسهم المفسدون مع عدم شعورهم بذلك.

المعنى الثالث: فيه تخصيص وحصر لهؤلاء المنافقين الذين أدعوا بأفواههم أنهم مصلحون في الأرض، فكذبهم الله تعالى في دعواهم هذه ورد عليهم أبلغ رد، كما يفيد هذا الإعراب أن هذا الإفساد ثابت لهم دون غيرهم، فأتى بضمير الفصل لرد ما في قصر أنفسهم على الإصلاح في الأرض حيث قالوا: إنما نحن

(1) الكشاف (148/1)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (134/1)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (74/1).

(2) سورة البقرة الآية: (11، 12).

(3) انظر: إعراب القرآن للنحاس (189/1)، والدر المصون (139/1)، ومشكل إعراب القرآن،أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ، 1405 هـ (25/1).

مصلحون[1]، فبين الله تعالى أنهم هم " المفسدون المخالفون أمرَ الله عز وجل، المتعدُّون حُدُودَه، الراكبون معصيتَه، التاركُون فروضَه، وهم لا يشعرون ولا يَدرُون أنهم كذلك - لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين، وينهَوْنَهُم عن معاصي الله في أرضه من المسلمين"[2].

المثال الثالث : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[3]

الإعراب: الجملة الفعلية (يجعلون) فيها قولان:

الأول: جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

الثاني: الجملة في محل نصب حال من ضمير المنافقين في الآية السابقة "مثلهم" بدليل "أو" العاطفة المخيرة.

معاني الإعراب:

المعنى الأول: الجملة مستأنفة على اعتبار أنها جواب لسؤال مقدر؛ " لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذون بالشدة والهول، فكأن قائلاً قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل: " يجعلون أصابهم في آذانهم"[4].

المعنى الثاني: هذا مثل ثانٍ ضربه الله تعالى في المنافقين. فمثلهم كمثل مَنْ أصابهم المطر النازل بكثرة، والذي يشتمل على ظلمات كثيرة: ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر، وكذلك الرعد والبرق، وفي ظل تلك الأجواء جعل هؤلاء أصابعهم في آذانهم من الصواعق اتقاء الموت.

فكأنه قال في هذا المثل: بينما هم كذلك على هذا الحال جاعلين أصابعهم

(1) الدر المصون (139/1)، والكشاف (180/1)، وأنوار التنزيل وأسرار التنزيل، للبيضاوي (175/1)، وإرشاد العقل السليم (101/1)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، ، للنسفي، عناية: عبد المجيد جلبي، ط الأولى 1421هـ، دار المعرفة - بيروت. (54/1).

(2) جامع البيان (191/1).

(3) سورة البقرة الآية: (19).

(4) الكشاف (216/1)، وفتح القدير (68/1).

في أذانهم...

المثال الرابع : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1].

الإعراب:تحتمل كلمة (سبعَ) وجهين من الإعراب:

الأول: أنها منصوب من الضمير في الفعل (سوَّاهن).

الثاني: أنها مفعول به ثانيٍ للفعل (سوَّى) [2].

المعنى الأول: ويقصد به أن الله – عز وجل – لما خلق الأرض، عمد إلى السماء فخلقها وسواها سبعَ سموات[3]، أي أن السماء هي سبع سماوات فقط.

المعنى الثاني: على أنه مفعول به، كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾[4]، أي اختار موسى - عليه السلام – من قومه سبعين رجلاً[5].

ويكون المعنى في هذه الآية: أن الله تعالى خلق سموات كثيرة ومتعددة، ولكنه سوّى من تلك السموات الكثيرة سبعاً منها فقط دون السموات الأخرى.

المطلب الثاني: أثر اختلاف الإعراب في إظهار الإعجاز اللغوي.

إن القرآن الكريم قد بلغ ذروته في الفصاحة والبيان والإعجاز، وإعجاز هذا الكتاب الخالد متحقق في الإعجاز اللغوي الذي صوره ابن عطية في تفسيره بقوله".... وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن

(1) سورة البقرة الآية: (29).
(2) انظر: إعراب القرآن للنحاس (206/1)، والدر المصون (244/1)، ومشكل إعراب القرآن (34/1).
(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط الأولى 1418هـ، دار الكتاب العربي - بيروت. (220/1) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (78/1)
(4) سورة الأعراف الآية: (155).
(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن (220/1) ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (78/1)

منها لم يوجد "[1].

وقد أشار الرافعي [2] إلى انفراد أسلوب القرآن العظيم بالإعجاز دون سائر أساليب البشر، فقال:" وفي القرآن مظهر غريب لإعجازه المستمر، لا يحتاج في تعرفه إلى رواية ولا إعنات... ذلك هو وجه تركيبه أو هو أسلوبه، فإنه مباين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطابهم وتنزيل كلامهم، وعلى أنه يؤتي بعضه بعضاً، وتناسب كل آية منه كل آية أخرى في النظم والطريقة، على اختلاف المعاني وتباين الأغراض" [3].

لذا كان لا بد للكلام كي يكون بليغاً أن يراعى فيه معاني النحو، فكان من أشهر البلاغيين الذين عنوا بدراسة أحوال التراكيب في الجملة وكذلك دلالتها ووظائفها البيانية هو الإمام عبد القاهر الجرجاني، حيث اعتبر المعاني النحوية والفروق المعنوية بين التراكيب من دلائل الإعجاز، وأن فصاحة الكلام وبلاغته ترجع إلى خصائص التراكيب ووضع كل عنصر من عناصر الجملة في موضعها المناسب لمقتضى الحال، فقال:" ... فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعناه وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من

(1) المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، ط الأولى 1423هـ، دار ابن حزم – لبنان(39/1).

(2) هو: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، وفاته في طنطا (بمصر) عام1356 هـ - 1937 م الأعلام للزركلي (235/7).

(3) تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- الطبعة الرابعة- 1394 هـ- 1974 م. (161/2)، وانظر له أيضاً: أعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. التاسعة، 1393هـ.ص(209- 211).

الطمع، ومسلم لها إلى الخدع"[1].

وقد أورد ابن خلدون رأيه أيضاً في بيان قيمة أحوال التراكيب في اللغة العربية وإظهار أهميتها حيث قال:" ... وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته، وتلك الأحوال في جميع الألسن أكثر ما يدل عليها بألفاظ تخصها بالوضع. وأما في اللسان العربي فإنما يدل عليها بأحوال وكيفيات، في تراكيب الألفاظ وتأليفها، من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعراب. وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة. ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه، فكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن. وهذا معنى قوله ﷺ: " أوتيت جوامع الكلم"[2].

وذكر الجرجاني أمثلة على وجوب توخي معاني النحو في الكلام البليغ، ومنها ما هو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾[3].

والأصل: ولا تقولوا: آلهتنا ثلاثة، فانه لو لم يُحذف المبتدأ (آلهتنا) لم يستقم المعنى، وذلك لأن النفي سوف يكون موجهاً إلى عدد الآلهة وليس إلى المبتدأ، والنفي دائماً يوجه إلى الخبر، فإثبات المبتدأ كان سيؤدي إل شبه الاعتراف بأن هناك آلهه ولكنها ليست ثلاثة.

وذلك أنهم قد ذهبوا في رفع ثلاثة إلى أنها خبر مبتدأ محذوف، وقالوا: إن التقدير ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، وليس ذلك بمستقيم. وذلك أنا إذا قلنا: ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، ذلك والعياذ بالله شبه الإثبات أن هاهنا آلهة من حيث إنك إذا نفيت فإنما تنفي المستفاد من الخبر عن المبتدأ، ولا تنفي معنى المبتدأ. فإذا قلت: ما زيد منطلقاً، نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد، ولم تنف معنى زيد، ولم توجب عدمه. كان ذلك كذلك فإذا قلنا:ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة كنا قد نفينا أن تكون عدة الآلهة، ولم ننف أن تكون آلهة جل الله تعالى عن الشريك والنظير...

(1) دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني - قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر - دار المدني - جدة - الثالثة 1413هـ . ص (152).

(2) مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط 5، 1984م. (359/1).

(3) سورة النساء الآية: (171).

والوجه والله أعلم أن تكون ثلاثة صفة مبتدأ لا خبر مبتدأ، ويكون التقدير: ولا تقولوا لنا ثلاثة، أو في الوجود آلهة ثلاثة، ثم حذف الخبر"[1].

ويتضح من ذلك المثال أن الإعجاز تمثل في حذف المبتدأ وهو (آلهة)؛ لأنه لوثبت لترتب عليه معنى فاسد – كما وضح الجرجاني -، ويؤكد عدم صحة المعنى مع إثبات المبتدأ في قوله تعالى في نفس الآية (إنما الله إله واحد...) حيث حصرت الآية الإلوهية في الله تعالى وحده.

مثال آخر في تنوين كلمة (عزيرٌ) وإثبات الألف كتابة في (ابن)وذلك في قـوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾[2].

فكلمة عزير عربية مأخوذة من التعزير وهو التعظيم، وهو اسم مخبرٌ عنه بـ (ابن) لا موصوف به[3].

وتنوين كلمة (عزيرٌ) أفادت أن كلمة (ابن) خبر لعزير وليست صفة له، حيث كذبهم الله – جل وعلا- في هذا الخبر بقوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[4]، والصحيح إثبات التنوين لأن (ابن) خبر، وإنما يحذف التنوين في الصفة"[5].

وبناءً عليه فإن الألف في (ابن)" تثبت؛ لأنه ليس صفه لما قبله، وإنما هو خبر مستقل قائم بذاته وقال الجرجاني في هذا المثال " والوجه الثاني: أن يكون الابن صفة، ويكون التنوين قد سقط على حد سقوطه في قولنا: جاءني زيد بن عمرو، ويكون في الكلام محذوف. ثم اختلفوا في المحذوف، فمنهم من جعله مبتدأ، فقدر وقالت اليهود هو عزير ابن الله، ومنهم من جعله خبراً، فقدر وقالت

(1) دلائل الإعجاز ص (110).
(2) سورة التوبة الآية: (30).
(3) إتحاف فضلا البشر في القراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي (89/2).
(4) سورة التوبة الآية: (30).
(5) حجة القراءات لابن زنجلة ص (318).

اليهود: عزير ابن الله معبودنا، وفي هذا أمر عظيم. وذلك أنك إذا حكيت عن قائل كلاماً أنت تريد أن تكذبه فيه فإن التكذيب ينصرف إلى ما كان فيه خبراً دون ما كان صفة. تفسير هذا أنك إذا حكيت عن إنسان أنه قال: زيد بن عمرو سيد، ثم كذبته فيه، ولم تكن قد أنكرت بذلك أن يكون زيد بن عمرو، ولكن أن يكون سيداً... وإذا كان الأمر كذلك كان جعل الابن صفة في الآية، مؤدياً إلى الأمر العظيم، وهو إخراجه عن موضع النفي والإنكار، إلى موضع الثبوت والاستقرار. جل الله تعالى عن شبه المخلوقين، وعن جميع ما يقول الظالمون علواً كبيراً"[1].

وخلاصة ذلك أنه لو حذف التنوين يكون تكذيب اليهود في حكمهم على العزير بالإلوهية واعتراف بكون العزير ابناً لله.

ومن هنا أعطى التنوين ذلك المعنى العظيم، وكذلك إثبات الألف في كلمة (ابن) دليل على أنها خبر وليس صفة [2]؛ قال صاحب الكشف عن وجوه القراءات:" إذا جعلت ابناً خبراً أثبت ألف الوصل في الخط في (ابن) فإذا جعلته صفه لم تثبت الألف في الخط" [3]، ويُعَد مثل هذا الوجه من الإعجاز إعجازاً نحوياً، وهو من أسرار القرآن الكريم وإعجازه.

(1) دلائل الإعجاز ص (109).

(2) انظر: مجلة القبس – إعجاز القرآن بين النحو والبيان – د/عبد المعطي سالم، العدد/6 ص (5).

(3)الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب ص (501/1).

الخاتمة

وبعد.. الحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي نهاية هذا البحث المتواضع الموسوم أثر اختلاف الإعراب في تعدد معاني القرآن أستخلص النتائج التالية:

1. أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية حيث قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1]، وأن الوصول إلى أسراره يحتم علينا معرفة هذه اللغة.

2. يرتبط علم الإعراب بعلم التفسير ارتباطاً وثيقاً، حيث يعد علم الإعراب من العلوم المهمة التي يجب على المفسر لكتاب الله تعالى أن يتعلمه، وأن يكون على دراية به لما له من الأثر البالغ في بيان مراد الله تعالى، وفهم الآية فهماً صحيحاً.
3. تأكيد العلاقة بين الإعراب والمعنى الدلالي، وأن كلاً منهما يؤثر في الآخر، فإن العرب ما كانت لتجزع من اللحن في الإعراب لو لم يكن مؤدياً إلى فساد في المعنى، وما كانت لتحرص ذلك الحرص على الإعراب لو لم يكن يعمل في إبراز المعنى وإظهاره.
4. إن اختلاف الحركة الإعرابية، أو اختلاف الموقعها الإعرابي بناءً على قراءة صحيحة متواترة ضمن القراءات القرآنية العشر المتواترة، وقد نتج هذا الاختلاف في القراءات أنه اختلاف تنوع في المعاني التفسيرية، ويفتح آفاقاً في ميدان التفسير وكل قراءة بمثابة آية قرآنية مستقلة في معناها.
5. إن كلاً من القراءات القرآنية واختلاف الأعاريب يمثل ذلك الوجه الإعجازي البلاغي اللغوي لكتاب الله – عز وجل- باعتبار كل قراءة أو إعراب يسد مسد آية في المعنى، وهذا ما يمكن وصفه بأنه إعجاز، مع وفرة المعاني

(1) سورة يوسف الآية: (2).

المترتبة على هذا الإيجاز، إنه الإعجاز اللغوي الذي وقع به التحدي ولايزال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين